



الفصل الناقص

ما الذي في الكتاب بحيث يجعله استعارة للذات؟ لماذا ننزع الى التماثل الحقيقي مع الكتب؟ التحول لكتاب؟ ليران رزينسكي يكتب لتوهو حول البعد الفيتيشي للكتاب، والعلاقات بين الكتاب والذات والجسد الانساني، مثلما يقدمها معرض "بيبلولوجيا" في متحف بيتح تكفا للفنون.

مقالة نقدية كتبتها ليران رزينسكي سبتمبر 20, 2016

معرض "بيبلولوجيا" الذي تولى قوامته رفائيل سيغال ودروريت غور أريه في متحف بيتح تكفا، يضع الكتاب في مركزه. ليس المركز مضامين الكتاب - الأفكار التي خلف الكلمات - بل الكتاب كموضوع/غرض. جميع المعروضات المختلفة تتقصى مادية الكتاب. لقد أنتج عمل القيمين المشدد محتوى متيناً يسرد قصة حقيقية. ويمكن تشخيص ثلاثة محاور مركزية فيها، تتسق معاً وتطرح الأسئلة عن مادية الكتاب بثلاثة أنماط. المحور الأول هو الكتاب كموضوع: شبيثته، نسيجه، أبعاده المادية المتبقية بعد "تنظيف" بُعد المضمون، جوهره. المحور الثاني هو الجهد العاطفي المبذول نحو هذا الموضوع، أي البعد الفيتيشي لعلاقتنا بالكتب: جمعها، الفضول تجاهها، حيازتها وملامستها. هذه رواسب لاعتقالية، شغوفة، في علاقتنا بالكتب. المحور الثالث للمعرض هو الأهم، تقصي الروابط ما بين الكتاب كموضوع والجسد الانساني، وتلك التي بين الكتاب والذات.

מראה הצבה ביבליולוגיה.jpg



[1] "ببيلولوجيا" - منظر تنصيب. متحف بيتج تكفا للفنون
2016 ، تصوير: العاد سريغ

يتناول المحور الأول في المعرض، كالمذكور، البعد المادي، الشئني للكتاب، للحرف، للكتابة. هكذا مثلاً في عمل ميخا أولمان فاء هاء (2015)، حيث حفر في الحديقة الممتدة أمام مدخل المتحف مكوّنًا حرفي فاء وهاء (بالعبرية) اللذين يؤلفان كلمة ذات معنيين: "هنا" التي تشير للمكان، و"فم"، أي العضو الذي يُخرج النغمة والكلمة. المادية حاضرة هنا مسبقًا، قبل الدخول إلى المتحف، عبر الحرفين المحفورين في التراب - عبر "المادة" بمفهومها الأكثر أساسية. كذلك، في العمل بعنوان حائط كتب لأفيطال غيفع، 1978، يبرز البعد المادي. الكتب القديمة والمخصصة للتدوير يستخدمها غيفع في هذا العمل كمادة خام، إلى جانب الباطون والتراب، لغرض بناء حائط. الكتاب معروض كغرض يمر سيرورات تآكل وفناء عضوية، فاقداً المضامين الرمزية التي يحملها، ولكنه في الوقت نفسه، إلى حد ما، يبقى مقدسًا، موضوعًا مرّ تدويرًا (عنوان العمل هو "حائط"، وليس مجرد جدار). هناك ثنائية مشابهة تتجلى في المعرض بأكمله.

[2] [photo by Netary Aylon.jpg](http://photo.by.Netary.Aylon.jpg)



[3]ميخا أولمان. فاء وهاء
2015، تصوير: نتالي ايلون

يتقصى المعرض في المحور الثاني البعد الفيتيشي للعلاقة مع الكتاب، من دون الحكم عليه. إنه هنا للتأمل فيه وليس لإلغائه. هذا البعد الفيتيشي مرتبط بحقيقة أننا، من الجهة الأولى، ننسب إلى الكتب معنى أكثر من المادية (الكتاب ليس مجرد غرض/شيء)، ومن الجهة الثانية، نحن نربط الجانب الرمزي للكتب بالمادية، لأن الارتباط العاطفي موجود مع الكتاب كغرض، وليس مع مضامينه (ليس هناك علاقة فيتيشية مع الكتب الرقمية مثلاً). يتم التمحوّر في الجانب المادي ولكن هناك بالضبط يتجلى ويتجسد الجانب الرمزي، لأن هذه المادية هي غطاء، وبذاتها رمزية، أو موضوع للشغف، العلاقة، التلذذ، مثلما في عمل الفيديو الذي أنتجه القيم سيغال، محبّوت (2015): يد هرمة لهاوي جمع مقتنيات تتصفح ببطء لا نهائي كتاباً. العمل يترافق مع اقتباس من مقال فولتير بنيامين "إنني أفكك مكتبي" (الذي يبدو أنه كان مصدر إحياء للمعرض برمته): "يجب التأمل فقط في هاوي جمع أية أغراض وهو يرعى الأغراض التي في خزائنه. حين يحملها بيديه يبدو كأنه يحمل نظرتة إلى البعيد بوحى منها". الجانب الأيروسي في العلاقات ما بين الكتب وهاوي الجمع يتكرر أيضاً في الاقتباس التالي من المقالة المذكورة لبنيامين: "مقابل هذا، نصنف ضمن أجمل ذكريات هاوي الجمع تلك اللحظة التي هب فيها لمساعدة كتاب، لم يسبق أن أولى أي اهتمام له، فكم بالحري أمانة، لأنه رقد متروكا ومهملا في السوق المفتوحة، وقام بشرائه، مثلما اشترى الأمير في قصص ألف ليلة وليلة الأسطورية جارية جميلة من أجل تحريرها. لأن الحرية الحقيقية، وفقاً لرؤية هاوي الجمع، كامنة في مكان ما فوق رفوف مكتبه".¹

[4] [P.T.M_017.jpg](#)



[5]رفائيل سيغال. "دفتر". منظر تنصيب. متحف بيتج تكفا للفنون
2016، تصوير: العاد سريع

يبرز البعد الفيتيشي في عدد من الأعمال الاضافية، مثلا في الانشاء آفاق مكسورة لمايا زك و Stuben21 (بيتر دنييل ونيكول هورن)، الذي يتغنى بمكتبات الشعب اليهودي الضائعة ويدخل (بشكل يفتقر قليلا للنقد) الى ما يشبه المكتبة الجديدة "أفضل" ما لدى الشعب اليهودي. زك توجهت الى مثقفين طالية منهم التوصية على أهم الكتب برأيهم، من أجل جمع الكتب التي ستشكل ما يشبه الآثار المكتوبة اليهودية، ليتم وضعها على رفوف عملها. إن التغني بالكتب، التمسك بها كحافظ للتاريخ وموحد للهوية والثقافة، رغبة الجمع، التجميع، وتجميعها كلها في مكان واحد، هي كلها تعبيرات عن الجمع والفيتيشية.

[6] [P.T.M_031.jpg](#)



[7] مايا زك "آفاق مكسورة". منظر تنصيب. متحف بيتج تكفا للفنون
2016، تصوير: العاد سريع

هل بات الشغف الفيتيشي بالكتاب جزءاً من الماضي؟ لا يطرح المعرض هذا السؤال بشكل مباشر ولكن في السياق الثقافي الراهن، يبدو أن مجرد تمحور المعرض في الكتاب كعرض وفي ماديته، لا يمكن أن لا يُفسّر أيضاً كفحص لهذا السؤال. هل يعتبر العصر الرقمي، الذي يقال لنا إن الطباعة فيه قد ماتت، هو عصر ما بعد فيتيشي؟ يبدو أن الجواب لذلك سلبي، وأن هذا الشغف يسري في عروقنا، تحديداً لأن الكتاب ليس كتاباً فقط، وتحديداً لأنه بين الكتاب والذات البشرية هناك علاقة تفوق الاستخدام أو التأمل. الكتاب هو استعارة للذات.

إن الربط بين التعاطي مع الفيتيشية نحو الكتاب وبين كونه استعارة، وعلاوة على ذلك تجسيدا للذات، لمّح إليه أيضاً مقال فولتير بنيامين المذكور، "إنني أفكك مكتبي". يشدد بنيامين على بُعد الجمع ولكن للكتب تحديداً: "بالنسبة إلى الجامع [...] الملكية هي أعمق العلاقات مع الأشياء. ليس أنهم يعيشون فيها، بل إنها تسكن فيهم. وها قد عرضت أمامكم أحد مساكنها، لنباتها هي الكتب، وها هي تغيب فيه، كما يليق بها." ²

وبالفعل، فالمحور الثالث في المعرض لا يتقصى جسد الكتاب فقط، بل أيضاً الروابط الرقيقة ما بين الكتاب وبين الجسد البشري، ولاحقاً بين الكتاب وبين الذات الانسانية. هذا التشابه، التماس بين البشري وبين الكتابي، يجري تقصيه في المعرض من خلال عدد من المعارضات. مثلاً، في العمل اللافت للانتباه في البدء مات (2011) لفانيا-يوتنان شاوب، يُعرض كتاب حَيَمِيَّت. يشدد العمل على البعد المادي للكتاب، السابق ذكره، لكنه يربطه بعمق أكبر بالحياة والجسمانية. يَنبُت فانيا بذوراً في كتب ينتجها بنفسه (صفحات ورق بإنتاج يدوي يتم تجليدها معا). البذور تنبت وتنمو لتصبح نباتات، تعيش ثم تذبل وتذوي. الكتاب أخضر ومزهر لفترة ما، كما يمكن التقدير، أي أنه يعيش فعلاً قبل أن يذوي، يجف ويتشوه. الكتاب المشوه الذي تعفن في المعرض يعيدنا إلى البيولوجي، إلى العضوي. هذا الكتاب ليس حروفاً فقط (وليس حروفاً ميتة)، بل جسد، جسد ميت: شيء، غرض، ولكن ليس علبة مربعة فيها إشارات فحسب، بل ما سبق أن نبضت فيه حياة والآن مات. إذا تعودنا على التفكير بالكتب بوصفها شيئاً موجوداً بثبات وديمومة، خلافاً للبيولوجي العابر، فإن شاوب يضعنا في مواجهة مع كتاب يمر دورة حياة ويتعرض هو الآخر إلى آثار الزمن (لكنه لا يتلف بل يذوي، يشيخ، كأَي كائن عضوي)، وفي النهاية يموت.

[8] [P.T.M_065 \(1\).jpg](#)



[9] فانيا-يونتان شاوب "في البدء مات"
2011، تصوير: العاد سريع



ليس الكتاب وحده كمجموع يشكل استعارة للجسدي، بل أيضاً الاشارات التي تملؤه: في عمل بديع يقدمه المعرض، توثيق بالفيديو لعمل رقص، تبعث مصممة الرقص ماري تشوينار (Chouinard) الحياة داخل حروف ميتة. يحيي عمل الرقص هذا ويرقص الاشارات الغريبة - نصفها حروف ونصفها الاخر رسومات، ربما رسومات جسد - في كتاب الشاعر الفرنسي هنري ميشو (Michaux) "حركات" (Mouvements). علامات الحبر - لغة جديدة؟ الشعر الأنقى الذي يتيح للكلمات والاشارات نفسها ان تتكلم، من دون التفكير؟ - تتحول الى علامات جسد لراقصين بالأسود، أشخاص-حروف، وتكتسب حيوية وتجسيدا على المنصة.

هناك معروضات أخرى تتطرق الى العلاقة الرمزية بين الكتاب والذات وليس الجسد بالذات. فمثلا هناك معروضتان تكملان الواحدة الأخرى: كتب باعها فولتير بنيامين للمكتبة القومية، بمساعدة صديقه غرشوم شولم، تم استخراجها من رفوفها وهي تُعرض في صندوق زجاجي. ومثلما يستدل من نص قيمي المعرض، هذه كتب الفيلسوف واللاهوتي الالمانى فرانس فون-بادر، وكانت في مكتبة بنيامين لمدة تسع سنوات. بنظر بنيامين، هذه كتب من المقام الأول، ومن أعلى ممتلكاته. وحين قرر بيعها عام 1934 كان في المهجر وفي حالة من الضائقة والعوز. أرسلها بنيامين الى صديقه شولم وكتب له: "كلي أمل ان تجد لها ملاذاً آمناً أكثر في اسرائيل، سواء في مكتبة الجامعة بالقدس أو في مكتبك" (9.7.1934). بنيامين الذي فكر بالقدوم أيضاً الى فلسطين، الى الجامعة العبرية، لم ينجح في ذلك، وحين انتحرت ضاعته جثته، كما يقول نص الى جانب الصندوق الزجاجي. الرمز واضح: بدلا من الجسد المفقود، هناك الكتب، الحاضرة. أقوال بنيامين التي اقتبستها اعلاه تكتسب معنى جديداً: "عرضت أمامكم أحد مساكنها، لبناتها هي الكتب، وها هي تغيب فيه، كما يلحق بها".

[مראה הצבה ביבליולוגיה jpg.2 \[10\]](#)



[11] "بيليوغرافيا". منظر تنصيب. ماري تشوينار (فيديو) نوغا عنبار (عنبار). متحف بيتج تكفا للفنون
2016، تصوير: العاد سريع

معروضة أخرى هي صور أرشيفية لأكوام كتب لليهود، صادرها النازيون وأخذوها كغنائم لاقامة مكتبة. خلافا للصورة الشائعة عن حرق الكتب، لم تكن الرغبة النازية هي الحرق فقط، بل الجمع أيضاً، والبحث وحفظ الكتب اليهودية في الأرشيف، كجانب متحفى لحياة العرق اليهودي³. الأكوام، مثل الأكوام في الصور من الحقبة النازية، تثير القلق وعدم الارتياح، وتقف مرة أخرى أمامنا كتب تمثل أشخاصاً من لحم ودم قد ماتوا.

إذا ففي كلا العملين، هناك ذات بشرية تغيب ويظهر مكانها كتاب يتم جمعه، أرشفته، حفظه وإبقاؤه. على النحو ذاته، فإن إنشاء زك و Stuben21 المذكورين، يعرضان صوراً لمدرسة وغرف تعليمية تم استرجاعها من صور رومان فيشنيك ومشتيلخ (مدرسة دينية يهودية) معاصرة من القدس، فضاءات خالية من الناس تسكنها الكتب، معطف طويل معلق على مشجب، قبة، اشارات على حضور بشري قد غاب. حضور كامل لكتب، يؤكد غياب الحضور البشري.

هناك تاريخ طويل وتعبيرات كثيرة للتماثل بين الذات والكتاب. مثلاً، يعرف جان لكان (Lacan) من خلال اقتباس شهير اللاوعي بـ "الفصل الناقص" أو المشطوب في تاريخي⁴. هذه الاستعارة تشدد على الناقص، على الصفحات التي تم انتزاعها، ولكنها منتزعة من مجموع، وهذا المجموع يقارن هنا بالكتاب: كتاب يجب قراءته، تحليله وحتى قراءة ما ورد في صفحاته المشطوبة.

الكتاب، في العديد من السير الذاتية، ليس تصوّراً للذاتي فقط، ولا استعارة لافقة: التماثل بين الذاتي والكتاب يتحول إلى طموح، تماثل، مشروع حياة-كتابة. الرابط ذات-كتابة في كتب السير الذاتية هو الأكثر حميمية: ليس علاقة تملك فحسب، ولا قراءة، ولا حتى مجرد كتابة، ككتاب يكتب كتاباً. هناك مجرى حياة تتم كتابته ووضعه في مجلد، والكتاب الكامل يمثل كاتبه ويجسده. الذات تكتب نفسها إلى أن تصبح كتاباً.

ما الذي في الكتاب بحيث يتحول إلى استعارة للذات، بل لأكثر من استعارة بمعنى الرغبة في التماثل الحقيقي، والتحول لكتاب؟ يبدو أن قسماً من الجواب يكمن في ازدواجية التي سبق ذكرها: كون الكتاب في الوقت نفسه غرضاً جامداً ككل الأغراض، وذلك الذي يحظى بحياة رمزية بمعنى المضامين المكتوبة في طياته (كلمات، أفكار، تأملات)، والتي تكمن قيمتها ووجودها فيما يتجاوز آثار حبر الحروف المطبوعة. الكتاب تصوّر عن الإنسان، وهو أيضاً يعيش بالتزامن في عوالم رمزية وفي جسد ملموس. تذكر نوغا عنبار في عملها فانتوم أنه يوجد بعد رمزي للجسدي أيضاً: تعرض عنبار صوراً تم انتقاؤها كعينات من جسدها وانتاجها



بواسطة مسح MRI أو بمساعدة مجهر الكتروني ماسح (SEM). هذه الصور مطبوعة على طول محاور عامودية على أوراق معلقة، وهكذا يتحول الجسد أيضًا إلى معلومات، إلى موقع أرشيفي.

من جهة ثانية، الكتاب هو انغلاقات، بداية ونهاية لذات واحدة، إنه سرديّة ومجرى حياة. الكتاب هو مجموع مستقل مع روابط لمجاميع أخرى، ويتكلم. بموازاة ذلك، على الرغم من "المجموعية" المغلقة والمُحكمَة للكتاب، فهو كذلك كثرة من مجربات الحياة الممكنة والحقيقية، معمل لمتين الأفكار والمشاعر. في فقرة تتناول فكرة "ذاتي ككتاب" الشهيرة في كتابة السيرة الذاتية الفرنسية، يتوقف باحث السيرة الذاتية في الأدب الفرنسي مايكل شيرنغهام (Sheringham) عند الاغراء الكامن في الكتاب بوصفه استعارة للذات الانسانية، وفي هذه الحالة للذات المحددة التي كتبت الكتاب المحدد:

"من جهة، الكتاب ممتلئ ومتماسك (solid)، متحرك، ذو حجم (voluminous)، مرجعيّ، ذو سلطة، ديمومي: نصب، متحفّي. يمكن رؤية الحقل الصوري للذاتي كمجلد، من موتتين وحتى روسو [...], شاتوبريان، ليريس وبورت. ولكن من جهة ثانية، الكتاب أيضًا كثرة وتفرّع (voluminous) بمعنى سابق أيضًا للكلمة: "ممتلئ بالمنعطفات، يجمع ويتألف من تعرجات ومنحنيات" كما الكتابة ومنحنيات تعرجات فيها للمتأمل تبدو تماثلات متعقّبة يمكن، روسو وحتى موتتين من المذكورين الكتاب لدى (OED). لو أنها تعكس كثرة الذاتي، رسوخه أمام محاولة الامساك به. في هذه الحالة، شيء كموضوع للفيتيشية، ليس صورة مرآة للذاتي يمكن أخذها من الكتاب إلى الواقع، بل كثرة من الاشارات، الكلمات والاثار للذاتيات الناشئة حين يقوم كاتب السيرة الذاتية "بالشغل" على ذكريات، فرضيات ووثائق." ⁵

الكتاب واحد لكنها متعدد. ثابت، أبدي، لكنه متغيّر، يحتوي ثراء داخليا. معرض "بيبلولوجيا" يقترح بحثًا وتقصيًّا لهذه الجوانب وأخرى كثيرة غيرها. معرض ممتاز بحث على التفكير.

معرض "بيبلولوجيا": الكتاب كجسد"، اختتم في متحف بيتج تكفا للفنون بتاريخ 26 اذار 2016 [12] (قيمان: رفائيل سيغال ودروريت غور أريه)

- 1. فولتير بنيامين "إنني أفكك مكتبتني"، نصوص مختارة أ: المتسكع، ترجمه (للعبرية) دافيد زنغر (تل أبيب هكيوتس همئوحد، 1992، ص 110-111، 107-113).
- 2. فولتير بنيامين "إنني أفكك مكتبتني" (بالعبرية، ص 13).
- 3. مثلاً: Sally, Mcgrane. "What Became of the Jewish Books?" [13] The New Yorker, February 28, 2014.
- 4. Jacques Lacan, "The Function and Field of Speech and Language in Psychoanalysis," in *Écrits. A selection*, trans. Alan Sheridan (London and New York: Routledge, 1989 [1966]), p. 38.
- 5. Michael Sheringham, *French Autobiography: Devices and Desires* (Oxford: Clarendon Press, 1993), pp.

Source URL: <http://tohumagazine.com/ar/article/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B5%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A7%D9%82%D8%B5>

Links

- [1] <https://tohumagazine.com/sites/default/files/%D7%9E%D7%A8%D7%90%D7%94%20%D7%94%D7%A6%D7%91%D7%94%20%D7%91%D7%99%D7%91%D7%9C%D7%99%D7%95%D7%9C%D7%95%D7%92%D7%99%D7%94.jpg>
- [2] <http://tohumagazine.com/ar/file/photo-netaly-aylon.jpg-0>
- [3] https://tohumagazine.com/sites/default/files/photo%20by%20Netaly%20Aylon_0.jpg
- [4] <http://tohumagazine.com/ar/file/ptm017.jpg>
- [5] https://tohumagazine.com/sites/default/files/P.T.M_017.jpg
- [6] <http://tohumagazine.com/ar/file/ptm031.jpg-0>
- [7] https://tohumagazine.com/sites/default/files/P.T.M_031_0.jpg
- [8] <http://tohumagazine.com/ar/file/ptm065-1.jpg-0>
- [9] https://tohumagazine.com/sites/default/files/P.T.M_065%20%281%29_0.jpg
- [10] <http://tohumagazine.com/ar/file/%D7%9E%D7%A8%D7%90%D7%94-%D7%94%D7%A6%D7%91%D7%94-%D7%91%D7%99%D7%91%D7%9C%D7%99%D7%95%D7%9C%D7%95%D7%92%D7%99%D7%94-2.jpg-0>
- [11] https://tohumagazine.com/sites/default/files/%D7%9E%D7%A8%D7%90%D7%94%20%D7%94%D7%A6%D7%91%D7%94%20%D7%91%D7%99%D7%91%D7%9C%D7%99%D7%95%D7%9C%D7%95%D7%92%D7%99%D7%94%202_0.jpg



[12] <http://www.petachtikvamuseum.com/he/Exhibitions.aspx?eid=3694>

[13] <http://www.newyorker.com/books/page-turner/what-became-of-the-jewish-books>